كلاسيكيات مُبسطة

الأخوات الثلاث

أنطون تشيخوف



روسومات
هيلين باناي

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

الغلاف الأمامي

كلاسيكيات مُبسطة

الأخوات الثلاث

أنطون تشيخوف



روسومات

هيلين باناي

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

حقوق الطبع والنشر



مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore ...ليست مجرد مكتبة

للتعرف على فروعنا

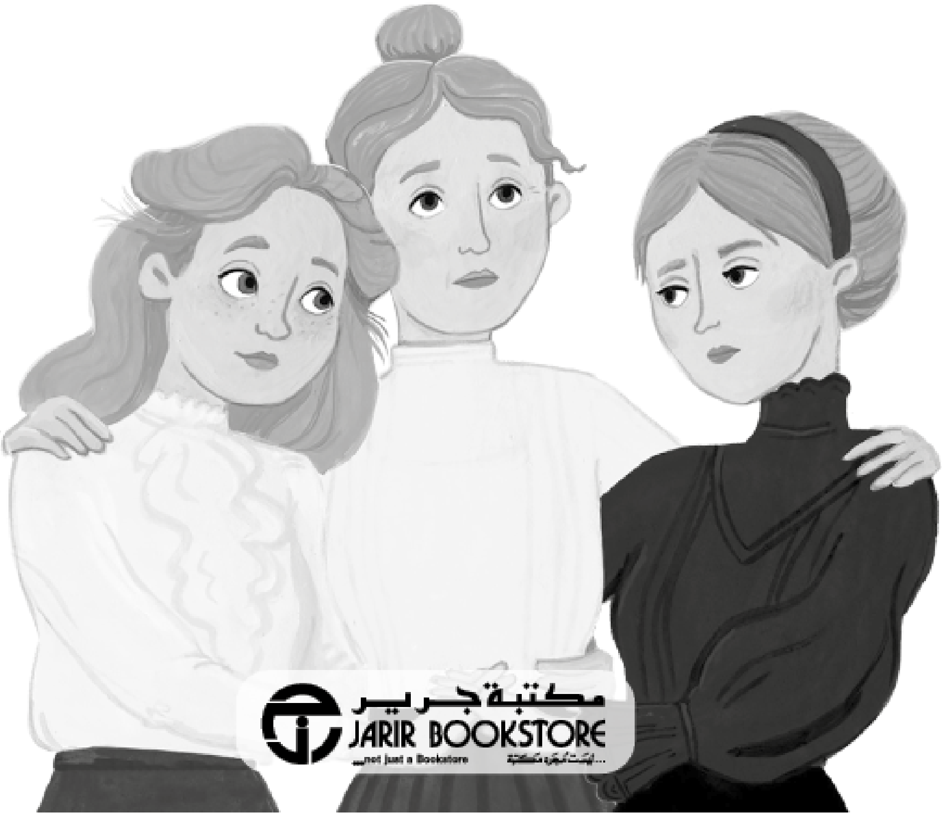
نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت **www.jarir.com**

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: **jbpublications@jarirbookstore.com**

الطبعة الأولى 2024

الأخوات الثلاث

أنطون تشيخوف



الشخصيات

عائلة بروزوروف



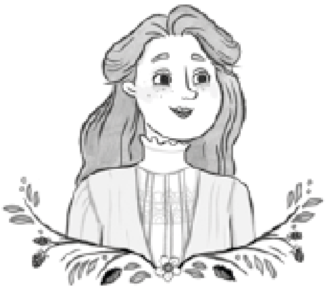
أولجا بروزوروف

أخت



ماشا بروزوروف

أخت



إيرينا بروزوروف

أخت



أندري بروزوروف

أخ



ناتاشا بروزوروف

زوجة أندري



فيودور كوليجين

زوج ماشا



أنفيسا

خادمة عائلة
بروزوروف

أفراد الكتيبة



ألكساندر فيرشينين



البارون توزنباخ



فاسيلي سوليوني



الطبيب تشيبوتيكن

الجزء الأول

الفصل الأول

كانت أولجا، وماشا، وإيرينا بروزوروف أخوات، وكن يعشن في منزل جميل ببلدة صغيرة مع أخيهم أندري، وكانت البلـــدة تــبعـد مســـافـة يــوم بالــعـربــة عن موسكو، لــكن الأخـــوات دائــمًـــا ما كنَّ يشعرن بأنهن يعشن في الجانب الآخر من العالم.



رغم أن البلدة كانت هادئة ولطيفة، لم تكن تقارن أبدًا بشوارع موسكو المزدحمة، ومتاحفها، ومسارحها، فقد انتقلت عائلة بروزوروف من موسكو قبل سنوات عديدة بعد تعيين الأب جنرالاً للكتيبة المتمركزة في البلدة، لكن توفيت الأم بعد ذلك بوقت قصير، ولحق بها الأب بعدها بسنوات، وورثت الأخوات مع أخيهم الصغير المنزل.

في هذا اليوم تحديدًا، كانت الأخوات يشعرن بمزيج من الفرح والحزن، فقد حلَّت ذكرى يوم ميلاد إيرينا العشرين، لكنه كان يوافق كذلك ذكرى وفاة والدهن.

تنهدت أولجا قائلة: "لا أصدق أنه قد مر عام كامل". وكانت أولجا أكبر الأخوات بفارق ثماني سنوات؛ لذلك صارت بعد وفاة الأبوين بمكانة الأم لشقيقتيها الصغيرتين، ثم أراحت أولجا يديها فوق كومة من الأبحاث التي كانت تصححها، وقالت: "كانت الثلوج تتساقط يوم جنازة أبي، وكنا غاية في الحزن".

كانت أولجا تعمل بالمدرسة المحلية منذ بضع سنوات، وقد عُينت في منصب نائبة المديرة، فقالت الفتيات: كم كان والدهن سيكون فخورًا لو كان بينهن الآن.

نهضت أولجا عن مكتبها لتتمدد وتابعت كلامها، قائلة: "لكن علينا أن نفرح اليوم، إنها ذكرى يوم ميلادك يا إيرينا! ليت أندري يتوقف عن عزف الكمان ويأتي لمشاركتنا، فسوف يصل الضيوف قريبًا".



ابتسمت إيرينا التي كانت تطل من النافذة شاردة، وهى تتذكر حياتهن السابقة عندما كان أبواهن على قيد الحياة.

في تلك اللحظة، دخلت الغرفةَ الخادمةُ العجوز، أنفيسا، حاملة كعكة كبيرة جدًّا، حتى إنها كانت بالكاد تستطيع أن ترى من فوقها.

فقالت أولجا: ''أوه، إنها كعكة يوم ميلادك، إيرينا''، وأخذت الكعكة من أنفيسا، وقالت: ''لقد فعلتِها مرة أخرى يا أنفيسا، تبدو شهية''، فابتسمت العجوز بفمها الخالي من الأسنان، وانصرفت عائدة إلى المطبخ.

نادت أولجا أختها ماشا، قائلة: ''ألقي نظرة على الكعكة يا ماشا!''، لكنهـا كانـت مستـلقيــة في الجانب الآخر من غرفة جلوسهن الواسعة على إحدى الأرائك، منهمكة في قراءة كتاب من كتب أبيها القديمة.



ابتسمت ماشا ابتسامة خافتة، وقالت: ''يمكنني أن أراها من هنا، تبدو جميلة يا إيرينا''، وعادت إلى كتابها مرة أخرى، فتنهدت أولجا.

كانت ماشا المتزوجة الوحيدة من بين أخوات عائلة بروزوروف، فعندما كانت في الثامنة عشرة من عمرها، كانت تعتقد أن زوجها، فيودور، رجل ذكي ذو طموح

كبير، وكان معلمًا في المدرسة مثل أولجا، لكن ماشا كانت واثقة بأنه سيكون له شأن عظيم. لكن مع مرور السنين بدأت تدرك أنها أذكى بكثير من زوجها، فقد كان طيبًا، إلا أنه لن يحقق أبدًا أي شيء أكثر مما كان عليه بالفعل.

عندما أدركت ماشا أنها تزوجت رجلًا لا تحبه بحق ولا تشعر تجاهه بإعجاب، جعلها ذلك متعبة وبائسة، ورغم أنها كانت فقط في الثالثة والعشرين من عمرها، بدأت تشـعر وكأن سنوات عمرها تنقضي سريعًا.

تجاهلت أولجا عدم اهتمام أختها بالكعكة، وعادت إلى إيرينا، وقالت لها: "ما أمنية ذكرى يوم ميلادك، إيرينا؟"، وهي ممسكة بيديها.

لمعـــت عينـــا إيرينـــا، فقد وكانت أصغر أخواتها، وكانت تتمنى أن تكون بانتظارها حياة سعيدة، فردت في سعادة قائلة: "أتمنى أن أعود إلى موسكو".

ضحكـــت أولجـــا، وقالـــت: "أوه، موسكو! إنها أمنية رائعة، فقد كنا جميعًا سعداء هناك مع أمنا وأبينا. نعم، علينا العودة إلى مدينتنا موسكو".

رغم أن إيرينا كانت تعرف أن أختها أولجا كانت تحلم وحسب، فإنها أحبت التظاهر بأن هذا حقيقي.

ابتسمت ماشا إلى أختيها في حزن، فقد أحبت تفاؤلهما وبهجتهما، لكنها شعرت في قرارة نفسها بأنها حبيسة؛ إذ كانت تعرف أنه حتى لو عادت أختاها إلى موسكو يومًا ما، سيكون عليها البقاء هنا مع زوجها.

الفصل الثاني

كان أكثر ضباط كتيبة الجنرال بروزوروف يحبون عائلة بروزوروف؛ فقد كان الجنرال رجلًا طيبًا وقائدًا منصفًا، وقد أقسم الضباط على حماية أسرته بعد وفاته. وقد انضم ثلاثة من أصدقاء الوالد القدامى إلى الأخوات بروزوروف للاحتفال بذكرى يوم ميلاد إيرينا.

كان البارون توزنباخ أكبر قليلًا من الأخوات، وكان ينحدر من عائلة عريقة، ورغم أنه لم يكن وسيمًا كبعض الضباط الآخرين، كان الحديث معه دائمًا مسليًّا.

كان الطبيـــبُ تشـــيبوتيكن طبيـــبَ الكتيبة، وقد كان صديقًا مقربًا للجنرال بروزوروف وزوجته، ورغم أنه كان يتقدم في العمر، واصل عمله بالجيش، كما كان يعتني بأبناء بروزوروف.

وكان فاسيلي سوليوني أحد السادة المحترمين الحاذقين، بشعره الداكن وعينيه السوداوين، وكان شديد الإعجاب بالجنرال بروزوروف، وقد كان سوليوني يتكلم بطيش وصوت عالٍ، ورغم أن الأخوات كن يرين وجوده مزعجًا، فإنهن كن دائمًا ما يدعونه لحضور مناسباتهن كونه صديقًا مقربًا إلى البارون.

دخل الضباط الثلاثة غرفة الجلوس محملين بالهدايا، فحيوا كل الأخوات في سعادة، حتى أن ماشا نهضت عن الأريكة لاستقبالهم، وحيت الطبيب بحرارة وأجلسته إلى كرسي مريح.

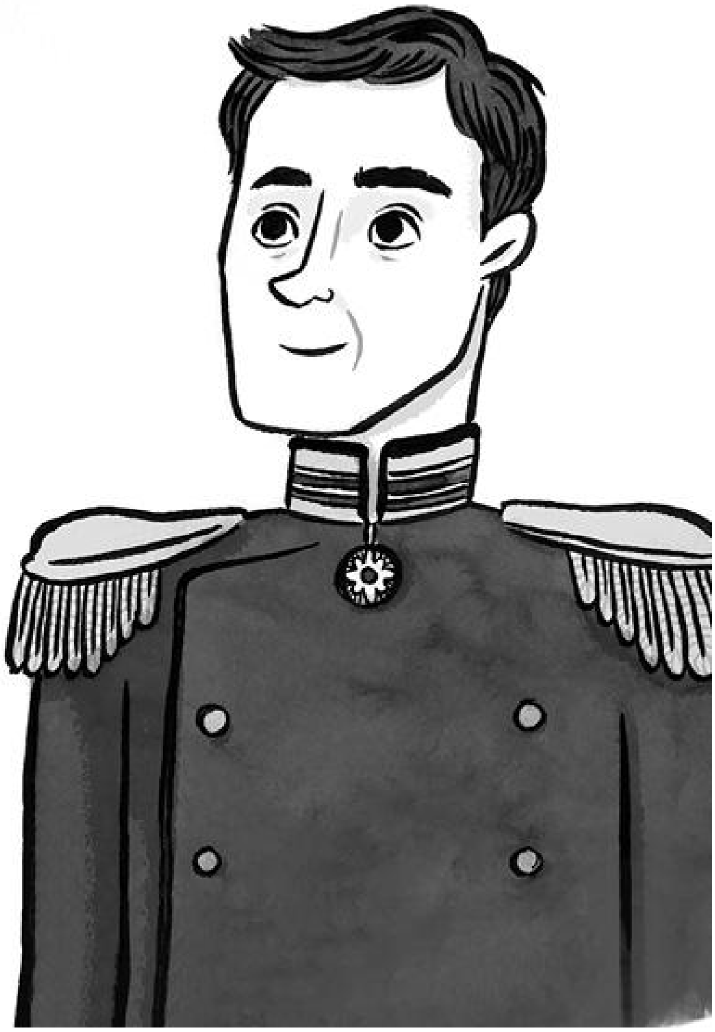
قال البارون: ‘‘لقد دعوت ملازمنا الجديد للانضمام إلينا، وآمل ألا يكون لديكِ مانع، أولجا’’.

نظرت الأخوات بعضهن إلى بعض؛ إذ لم يعتدن في هذه البلدة الصغيرة لقاء أشخاص جدد، لذلك دائمًا ما كان من المثير أن يفعلن ذلك.



فقال البارون: ‘‘دعوني أقدم لَكُنَّ ألكساندر فيرشينين، رغم أنكن قد التقيتن به قبل ذلك بالفعل’’.

بدا ألكساندر فيرشينين في منتصف الثلاثينيات من عمره، وكان ذا وجه وسيم وطيب.



فابتسمت أولجا وقالت: "آسفة أيها الملازم، أخشـــى أنني لا أتذكرك".

فـــــرد عليهــا ألكساندر بابتسامة وقال: "كنا جميعًا أصغر بكثير آنذاك، فقد كان والدكِ جنرال كتيبتي في موسكو".

فشهقت إيرينا وقالت: "موسكو! هل أنت من موسكو؟".

فأجاب ألكساندر: "نعم، كنت أسكن بالقرب منكن، وقد حزنت كثيرًا عندما عرفت بوفاة الجنرال بروزوروف".

ساد الصمت لحظة في أرجاء غرفة الجلوس قبل أن يدوي صوت سوليوني الذي طلب مشروبًا وسأل عن موعد تقديم الغداء، فدائمًا ما كان يشعر بعدم ارتياح في مثل هذه اللحظات المؤثرة؛ لذا كان يملؤها بصوته. فذهبت أولجا، وإيرينا، والبارون للتحدث إليه.

في تلك الأثناء، نظر ألكساندر إلى ماشا وقال: "أتذكركِ"، لتحدق ماشا في عينيه البنيتين العميقتين.

قالت ماشا: "نعم، أتذكرك أيضًا، وأظن أنني وأولجا قد منحناك اسمًا مستعارًا، كنا ندعوك المتيم الكبير!".

فضحك ألكساندر، وقال: "أوه نعم! كنتما تسخران مني لأني كنت أحب فتاة من الجوار".

وجدت ماشا نفسها تضحك هي الأخرى، حيث أدركت أنها المرة الأولى التي تضحك فيها منذ أيام.

فسألته قائلة: "وهل تزوجت تلك الفتاة؟".

فتوقف ألكساندر عن الضحك وصارت ملامحه جادة وقال: "الحقيقة لا، لكنني متزوج الآن ولديَّ طفلتان جميلتان".

كانت ماشا تعتقد أن الحديث عن مثل هذا الموضوع يسعد أي زوج وأب، لكن ألكساندر بدا حزينًا.

الفصل الثالث

أطلت أنفيســـــا برأسها داخل غرفة الجلوس لتخبرهم بأن الغداء جاهز، وكان الضيوف يتبادلون الحديث بسعادة في طريقهم إلى غرفة الطعام، كما كانوا يسمعون صوت عزف على الكمان.

فأشارت أولجا إلى الباب المؤدي إلى غرفة موسيقى أخيها، وقالت: "إنه أندري وحسب، إنه موهوب جدًّا لكنه يندمج بشدة في العزف حتى أنه ينسى الوقت!"، وطرقت أولجا بابه فتوقفت الموسيقى.

أطل شاب بشعر أشعث من الغرفة، حيث بدا مندهشًا لرؤية هذا الجمع من الناس في الردهة، فقال: "يا إلهي! هل وصلنا إلى هذا الوقت بالفعل؟"، وترجل من غرفته لتحية الضيوف، بينما كان لا يزال يحمل كمانه وقوسه في يده، وأضاف: "سامحيني، إيرينـــــا! سأنضم إليكم في الحال".



وعاد أندري مندفعًا إلى غرفة موسيقاه ليرتب شعره ويرتدي سترته.

فقــال ألكساندر وقد هم بسحب كرسي إلى جوار ماشا على طاولة الطعام الطويلة: "كان أخوكِ صغيرًا جدًّا حين رأيته آخر مرة. لم أكن أعتقد أبدًا أنه سيحترف الموسيقى".

وفجأة، اندفع فيودور إلى الغرفة، بينما قال بضحكة خافتة: "أعتذر لكم، لم أستطِع الحضور في وقت أبكر! ربما تظنون أن الطلب كان عليَّ متزايدًا، لكنني فقط نسيت الموعد!".

اختفت السعادة التي أحست بها ماشا منذ أن بدأت الحديث إلى ألكساندر بمجرد أن دخل زوجها الغرفة.

ثم قال فيودور ضاحكًا: "أين زوجتي الحبيبة؟ آه! ها أنتِ ذي!"، وجلس على الجانب الآخر من ماشا التي عرَّفته إلى ألكساندر، وما إن طبع زوجها قبلة على وجنتها حتى تجمدت في مكانها.

ثم وصلت الضيفة الأخيرة للحفل، والتي راحت تلقي نظرات خاطفة في أرجاء غرفة الطعام وكأنها لم تكن متأكدة مما إن كان يجب أن تكون موجودة أم لا، فقد كانت ناتاشا سيدة شابة من البلدة، وكان من الواضح أنها لم تكن معتادة الوجود في منازل فخمة كهذه أو تناول الغداء مع عدد من الضباط.



كان أندري هو من دعا ناتاشا، فقد تقابلا في البلدة بعد مدة قصـــــيرة من وفاة الجنرال بروزوروف، وكان الحزن يغمر أندري ذلك اليوم بالتحديد، فساعدته ناتاشا على أن يبتهج، فأحبها من وقتها.

نهضت أولجا عن كرسيها لاستقبال ناتاشا، وقالت موجهة إياها إلى الطاولة: "تسرني رؤيتكِ كثيرًا، ناتاشا، ترتدين اليوم فستانًا ... بلون رائع".

احمر وجه ناتاشا وخفضت رأسها لتنظر إلى فســـتانها باللون الأخضر الزاهي مجعد الرقبة، وقالت في ارتباك: "أهو كذلك؟ شعرت بأنه سيكون مناسبًا للغداء".

نظرت إليها أولجا من أعلى إلى أسفل، وقالت: "حســـنًا، إنه مناسب لليوم تمامًا".

دست ناتاشا نفسها في الكرسي الشاغر المتبقي بجوار أندري، بينما لم تستطع أن تحمل نفسها على الحديث إليه، بسبب ما كانت تشعر به من حرج بسبب اختيار فستانها، وراحت تشاهد من حولها الأخوات اللاتي كن يرتدين جميعًا فساتين جميلة خافتة الألوان من الموسلين الرقيق برقبة عالية وتصميم بسيط، فشعرت وكأنها ترتدي ملابس غير مناسبة لهذا الحفل.

الفصل الرابع

بينما راحت أنفيسا تقدم الغداء ببطء إلى الضيوف، قال البارون: "حسنًا! فيمَ سنتكلم ونحن نتناول هذه الوجبة اللذيذة؟".

فرفع ألكساندر كأسه، وقال: "أود التعبير عن مدى سعادتي كوني بصحبتكم جميعًا بعد هذا الوقت الطويل كله، فما كنت لأتخيل قبل خمس سنوات مضت أن يحدث ذلك".

فضرب البارون الطاولة بيده وقال: "هذا كل شيء إذن! لم يكن الملازم يتخيل هذه اللحظة قبل خمس سنوات مضت. دعونا نناقش كيف نود أن تكون حياتنا بعد خمس سنوات من الآن".



صمت الجميع بينما راحوا يتناولون طعامهم ويفكرون في الرد، فتكلمت إيرينـــا وأولجـــا أولًا، وأفصحتـــا عن رغبتهما في العودة إلى موسكو، إلى منزلهمـــا القديم، محاطتيـــن بأصدقاء طيبين كأصدقائهما هنا.

وقال الطبيب بضحكة خافتة إنه يود أن يكون لا يزال على قيد الحياة، وقال البارون إن ما سيحدث له بعد خمس سنوات سيكون نتيجة ما يفعله الآن.

صرح فيودور بأنه يتمنى أن يكون بعد خمس سنوات مثلما هو الآن تمامًا، الأمر الذي جعل ماشا تشعر بغصة، فقد أحست بأنه لا بد وأنها ستكون أكثر تعاسة ما لم

يتغير شيء في حياتها خلال خمس سنوات، رغم أنها لم تنطق بذلك جهرًا. وامتنع سوليوني عن الإجابة، فقد كان ذلك النقاش بالنسبة له ساذجًا وعديم الفائدة.

ثم وقف ألكساندر، وقال: "لا يمكنني التنبؤ بما سيحدث في السنوات الخمس التالية، لكني تعلمت شيئًا واحدًا"، لينظر إلى ماشا ثم إلى بقية من هم في الغرفة ويتابع: "علينا أن نعيش مستقبلنا وكأن ماضينا كان تدريبًا عليه، فنتعلم من أخطائنا ونحاول ألا نكررها مرة أخرى". عندها ساد الصمت في أرجاء الغرفة؛ إذ كان ألكساندر يتكلم بطريقة جعلت حتى سوليوني، الذي نادرًا ما كان يقدر آراء الآخرين، ينصت إليه.

وأضاف ألكساندر، قائلًا: "إن زوجتي مريضة مثلما يعرف معظمكم، لكنْ لديَّ ابنتان جميلتان لن أستبدلهما. فثمة أمور كثيرة في حياتي قد أشكو منها، لكن فيها أيضًا الكثير مما يسعدني. أود أن أقول "عيد ميلاد سعيد"، إلى إيرينا وشكرًا لكم جميعًا على وجودي اليوم".

عندئذٍ هتف الحضور جميعًا في انسجام: "عيد ميلاد سعيدًا" ورحوا يتناولون الطعام والمشروبات في سعادة.

بينما كان الجميع مشغولين في تناول الغداء، لاحظ أندري أن ناتاشا لم تكن كعادتها، فعندما يكونان بمفردهما تكون ناتاشا أكثر ثقة، وتظل تتحدث معه بشكل متواصل، أما هنا فنادرًا ما كانت تتكلم، وقد كان أندري يعرف أن أخواته لا يجدنها مناسبة كفاية له، فلم تكن ناتاشا من عائلة ثرية، كما لم تكن تعرف كيف ترتدي ما يلائم المناسبات الرسمية، لكن لم يكن أي من هذا يهم أندري، فقد كانت بالنسبة له مثالية؛ إذ كانت مفعمة بالحياة وكان أندري واثقًا بأنها ستسعده لبقية حياته.

سألها أندري بهدوء كي لا يجذب انتباه الضيوف، وقال: "ما الأمر، ناتاشا؟".



بدأت ناتاشا تبكي، وقالت: "أخواتك وأصدقاؤهن، البارون، والطبيب، كلهم جميعًا يتعالون عليَّ، كلهم يستهزئون بي!".

أمسك أندري بذراع ناتاشا في رفق وسار معها إلى غرفة الطعام، حيث جلسا معًا في شرفة صغيرة مطلة على الحدائق، وهناك قال لها: "عزيزتي، إنني واثق بأن ما تظنينه غير صحيح".

ردت ناتاشا مشددة: "بل هو كذلك!"، فالآن بعد أن صارا بمفردهما عادت إليها ثقتها من جديد، فعندما تكون هي وأندري وحسب، تشعر بأنهما متكافئان، وأردفت قائلة: "لقد جعلتهن يتسلطن عليك، وقريبًا سيأمرنك بألا تراني مجددًا!".

هز أندري رأسه في رفض، وراح يبحث في جيوب سترته عن شيء، ليخرج خاتمًا جميلًا من الألماس كان يتلألأ في شمس ما بعد الظهيرة، وقال بجدية: "لا يمكن لأحد أن يملي عليَّ ما أفعل. لقد كان هذا الخاتم لأمي، وأود أن يكون لكِ. هل تقبلين الزواج مني، ناتاشا؟".

حدقت ناتاشا في الخاتم، فقد كانت تعرف أنها عندما تصبح زوجة أندري ستتساوى مع أخواته، وتصبح ثرية وتعيش في منزل فخم، فأخذت الخاتم

ووضعته في إصبعهـــا، وقالت: "نعم!".





الجزء الثاني

الفصل الأول

مر عامان، تزوج خلالهمـــا أندري وناتاشا، فانتقلت هي لتعيش في المنزل مع أندري وأخواته، وسرعان ما رُزقا بصبي اسمـــه بوبك، لتصبح ناتاشا مهووسة به وتقدم احتياجاته على أي شيء آخر.

ذات ليلة، بينما كان الزوجان في غرفة الجلوس يشاهدان غروب الشمس ويرتشفان الشاي، تنهدت ناتاشا، وكان أندري قد لاحظ أن زوجته صارت تتنهد كثيرًا مؤخرًا، وأنها عادة ما كانت تتنهد قبل أن تبدأ في الشكوى من شيء ما، ولم تكن تنهيدتها تلك الليلة تختلف عن ذلك.

قالت ناتاشا: "يوم جميل آخر يمر ولا تزال غرفة صغيرنا بوبك باردة، لا أظنه من الإنصاف أن يملأ نور الشمس ودفئها غرفة إيرينا دومًا بينما يرتجف صغيرنا بردًا في مهده".

فرك أندري جبهته، فبمجرد أن انتقلت ناتاشا إلى منزل عائلة بروزوروف بدأت تجري بعض التعديلات هنا وهناك، كان أولها أن أصرت على أن تأخذ هي وأندري غرفة والديه القديمة، والتي كانت حتى الآن الأكبر في المنزل بالكامل، ولم يكن أحد قبل ذلك يريد نقل متعلقات الجنرال بروزوروف، أما الآن فقد اختلفت الغرفة تمامًا.

كذلك صارت ناتاشا مسئولة عن توجيه أنفيسا، وكانت تعاملها بتسلط أكبر بكثير مما كانت أولجا أو إيرينا تفعل معها. والآن تريد من إيرينا أن تنتقل خارج غرفة نومها وتتركها إلى بوبك الصغير.

فقال أندري في ضجر: "عزيزتي، أيمكنني أن أذكركِ بأن هذا المنزل ملك لأولجا وإيرينا أيضًا، وهو في الحقيقة ملك ماشا كذلك".

نهضت ناتاشا في انزعاج، وقالت: "ليس لدى أولجا أو إيرينا صغار لأهتم لأمرهما، كما أن ماشا لا تعيش هنا!"، ثم أضافت في سخط: "رغم أنها كثيرًا

ما تأتي إلى هنا لذلك تظنها تعيش معنا".

قبل أن يتمكن أندري من الرد، دخلت أنفيسا الغرفة حاملة ملفًّا سميكًا من الأوراق، فأسقطته على مكتب أندري وقالت: "وصلت هـــذه الأوراق إليك، سيدي"، ذلك المكتب الذي كان فيما مضى ملك أولجا لتصحح عليه أبحاث تلاميذها، إلى أن اقترحت ناتاشا أنه سيكون من الأفضل لو فعلت أولجا ذلك في غرفتها.



فتنهد أندري قائلًا: "مزيد من العمل من مجلس الحي"، ورمق كمانه في اشتياق، فقد وُضِع في إحدى زوايا غرفة المعيشة لا يفعل شيئًا سوى أنه يجمع التـــراب؛ لأنـــه بعد ولادة بوبك اقترحت ناتاشا أن العمل في المجلس سيـــكون بالنسبة إلى أندري أكثر احترامًا من عزف الكمان، لهذا كانـــت تنظـــر إلى الملف في سعادة.

وقالت: ''رائع، فهذا يعني أنه لا يمكنهم إنجاز المهام من دونك! والآن، سأذهب لأتفقد إن كان عزيزنا بوبك قد استيقظ من قيلولته''.

فتح أندري الملـــــف وراح يقلب الصفحات بغير اكتراث، فقد كان يجد وظيفته مملة، وكان لا يزال يحب ناتاشا كثيرًا، وكونه أبًا هو كل ما كان يتمناه في حياته، لكنه يشتاق إلى كمانه.

عادت أنفيسا إلى الغرفة حاملة صينية قد وضعت فوقها كوبًا من الشاي وبسكويت أندري المفضل.

فنهض أندري واضعًا الملف تحت ذراعه، وقال لها: ''شكرًا لكِ، سأتناوله في غرفة الموسيقى.. أقصد في مكتبي''.

الفصل الثاني

كانت أولجا وإيرينا متحمستين، فقد كانت مجموعة من العازفين تزور بلدتهم الصغيرة كل عام، وفي كل مرة كانت تتم دعوتهم إلى منزل عائلة بروزوروف ليقيموا حفلًا خاصًا.



بمجرد أن عادت أولجا من المدرسة، راحت الأختان تحولان غرفة الجلوس إلى قاعة حفلات موسيقية مصغرة، وكانتا مشغولتين جدًا بترتيب الكراسي ومناقشة مكان جلوس كل عازف منهم حتى أنهما لم تلحظا وصول ماشا وألكساندر.



قالت ماشا لـ ألكساندر في سعادة: "انظر إلى أختيَّ! إنه أحد أيامهما المفضلة من العام؛ إذ يذكرهما بموسكو، فقد كنا نقيم حفلات موسيقية كهذه طوال الوقت، أتذكر ذلك؟".

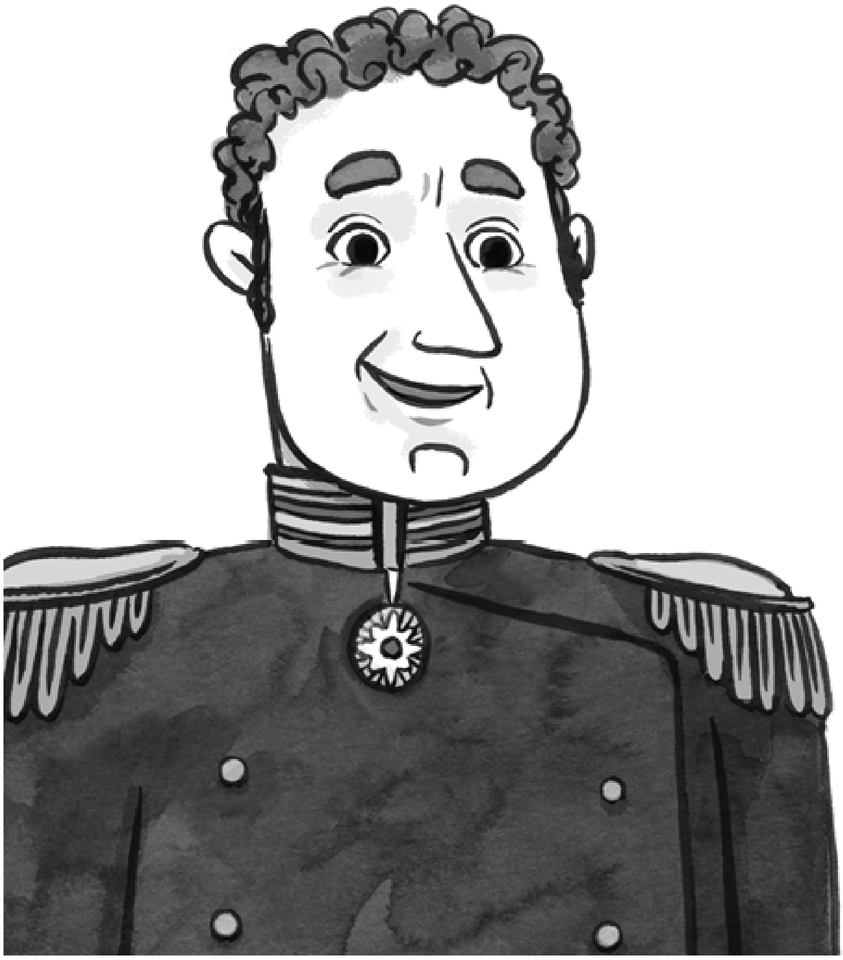
أومأ ألكساندر بالإيجاب، وقال: "نعم أذكره. لقد كانت أمكِ تستمتع بهم كثيرًا".

نشأت بين ماشا وألكساندر علاقة صداقة قوية على مدار العامين الماضيين، فقد كانا يحبان الكتب والفنانين أنفسهم، وكانا يستمتعان بالمشي في المتنزه معًا. وبعد مدة قصيرة أخبر ألكساندر ماشا بكل شيء عن زوجته وكيف كانا يتشاجران كثيرًا.

شعرت ماشا بأنها كانت تستمتع بقضاء الوقت بصحبة ألكساندر أكثر مما تفعل مع زوجها، فيودور، فقد كانا يتشاركان أمورًا كثيرة، وكان ألكساندر يُضحكها، وهو ما لم يقدر فيودور على فعله أبدًا.

فقالت ماشا: "كان أبي وأمي يحبان الموسيقى، لقد كان زواجهما سعيدًا، فقد كانا يتشاركان أمورًا كثيرة".

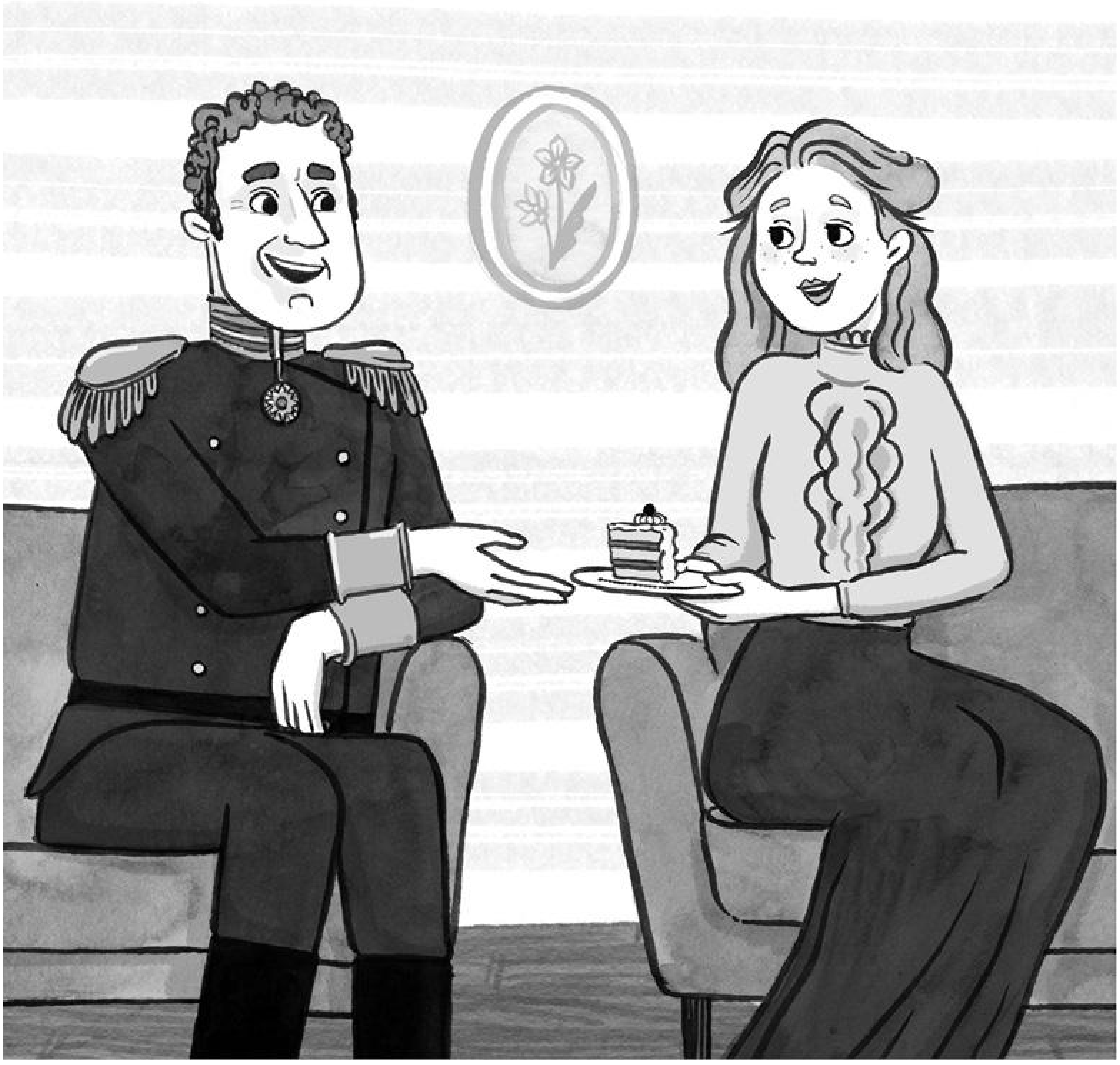
فقال ألكساندر في هدوء: "مثلما نفعل"، وبعد توقف طويل، قال: "أوه ماشا، أريدك أن تعرفي أني أحبكِ".



في تلك اللحظة غمرت السعادة قلب ماشا، فقد كانت بالكاد تتمنى أن يكون ألكساندر يحبها مثلما تحبه، وقبل أن تستطيع الرد قاطعهمـــا البارون توزنباخ الذي دخل غرفة الجلـــوس مصفقًـــــا في سعادة، وصاح قائلًا: "يا له من تنسيق مثالي!".

فانضمـــت ماشا إلى أختيها، قائلة: "نعم، قدمتما عملـــًا رائعًـا. أيمكننا تناول بعض الشاي بينما ننتظر وصول ضيوفنا؟".

جلست المجموعة في سعادة على الأرائك التي كانت قد دُفعت إلى الوراء في مقابل جدار بعيد، وأحضرت أنفيسا الشاي والكعك، وقدمتهما أولجا التي أصرت على جلوس أنفيسا وتناول بعض الشاي معهم. وقد كانت الخادمة العجوز تعمل لدى عائلة بروزوروف منذ ما يقرب من عشرين عامًا، وكانت تعرف الأخوات منذ أن كنَّ صغارًا، فكنَّ يعتبرنها صديقة للعائلة وكنَّ يحاولن ألا يكلفنها بأداء أعمال كثيرة في هذه السن الكبيرة على عكس ناتاشا.



قدمت إيرينا شريحة من الكعك إلى البارون، وقالت: "أوه، ليت كل الأيام هكذا!".

فقال البارون: "ماذا يمكنني أن أفعل لأحقق لكِ هذه الأمنية؟ سأطلب من مائة عازف الحضور والعزف إن كان هذا سيسعدكِ!".

ضحك الجميع على كلام البارون، فخلال هذا العام صار يحب إيرينا كثيرًا، ولم يكن يخجل من جعلها، أو جعل الجميع، يعرف ذلك.

فابتسمت إيرينا وقالت: "لا أحتاج إلى مائة عازف، بل لو استطعت مساعدة أخي المسكين سيسعدني هذا كثيرًا. أتعرفين يا ماشا أنه قد عاد لإدمان الألعاب الورقية مرة أخرى؟".

أنزلت ماشا كوب الشاي بهدوء، ولم تتفاجأ بأن أندري صار مدمنًا للألعاب الورقية، فقد كانت تعرف أنه تعيس، رغم أنه لم يفصح عن ذلك.

فسألت أولجا، قائلة: "هل علينا أن نخبر ناتاشا بذلك؟".

هزت ماشا رأسها في رفض، وقالت: "ما لم يكن الأمر متعلقًا بـ بوبك الصغير، فإنها لن تهتم".

ساد الصمت أجواء الحفل بينما راحوا يفكرون في أمر ناتاشا وأندري، لتقطع ناتاشا نفسها ذلك الصمت باندفاعها إلى الغرفة في غضب.

قالت ناتاشا: "لقد وصلت هذه الرسالة إلى الملازم فيرشينين، واضطررت لأن أفتح الباب بنفسي، والآن عرفتُ لماذا!"، ثم حدقت في أنفيسا، ثم تابعت: "إن فتح الباب وظيفتك، لا ندفع لكِ أجرًا كي تجلسي وتتناولي الشاي والكعك، أيتها العجوز الكسول!".

همت الخادمة بالوقوف على قدميها في شقاء معتذرة، فوقفت أولجا بجانبها.



وقالت: "لم تفعلي شيئًا لتعتذري. لقد عاشت هذه السيدة في هذا المنزل أكثر مما عشتِ، ناتاشا، وعليك معاملتها باحترام".

شتت الجدال ماشا عن ألكســـاندر الذي كان يقرأ الرسالة التي سلمتها لـــه ناتاشا، فقال بوجه شاحب: “إنها رســـالة من زوجتي، لقد تركت الأطفال بمفردهم مرة أخرى. عليَّ الذهاب إليهم”.

تابعت ماشا في حزن خروج ألكساندر من الغرفة، وتمنت لو أن بإمكانها مساعدته، والأهم من هذا كله، تمنت لو أن بإمكانها الزواج به.

الفصل الثالث

وصل العازفون في وقت لاحق من تلك الليلة وبدأوا يرتبون آلاتهم في غرفة الجلوس، وظلت إيرينا تتحرك حولهم بخفة للتأكد من أن كل شيء كما يريدون.

وصل سوليوني والطبيب تشيبوتيكن الحفل، وحتى أندري كان سعيدًا لأنه تعلل بالحفل لمغادرة عمله، بينما ظلت ماشا تراقب الباب على أمل أن يعود ألكساندر.

حاولت أولجا إقناع أنفيسا بحضور الحفل، لكن العجـــــوز كانت متعبة وذهبت إلى فراشها، ولو كانت ناتاشا هنـــاك، بدلًا من وجـــودها بالطابق العلوي لتعتني بـ بوبك، لأصرت على انتظار أنفيسا وتقديمها المشروبات إلى ضيوفهم، لكن بدلًا من ذلك، أحضرت أولجـــا عصـــير التفاح وراحت تقدمه للضيوف بنفسها.



سرعان ما بدأ الحفل، وانطلقـــــت الموسيقى العذبة للأغاني الشعبية الروسيـــــة الجميلة. وعندمـــا بدأ عزف اللحن المفضل لأمهن وأبيهن، راحـــت الأخوات يبتسم بعضهن إلى بعض، وإلى أندري، لكن سرعان ما تحطمت ذكريات تلك الأوقات التي كن فيها أكثر سعادة.

"توقفوا! ليتوقف هذا كله!".

صاحت ناتاشا التي كانت تقف عند باب الغرفة بوجه مخضب بالحمرة من شدة الغضب، فتوقف العازفون ونظروا إلى إيرينا وأولجا في ارتباك.

فقالت ناتاشا: "إن الموسيقى شديدة الصخب، ولا يستطيع بوبك الصغير النوم، كما أنه يعاني ارتفاعاً شديدًا في درجة الحرارة. أخشى أن أخبركم بأن هذا الحفل لا بد أن ينتهي حالًا".

وقفت ماشا وقالت: "لقد كان بوبك بخير عندما كنت ألاعبه بعد ظهيرة اليوم".

فعقدت ناتاشا ذراعيها وقالت: "ربما تكونين أنتِ إذن من نقلتِ له عدوى ما!".



فوضع أندري يده على كتـــف أخته لإيقافهـــا عن الرد على زوجته، وقال:
"إذا كان الطفـــل مريضًا فعلينــــا إنهاء الحفـــل"، فبدا الإحبـــاط
واضحًـــا على إيرينا وأولجا حتى أن ماشا شعرت بأنهما ستبكيان.

عرض الطبيب فحص الصغير، لكن ناتاشا رفضت ذلك، قائلة: "أستطيع رعايته بنفسي على أكمل وجه، هو فقط بحاجة للنوم".

اعتذرت أولجا للعازفين بينما كانوا يلملمون آلاتهم، وفرَّت إيرينا إلى غرفتها باكية، بينما غادر الضباط الغرفة.

قال الدكتور تشيبوتيكن لـ أندري: "هل أنت متأكد أنك لا تريد مني البقاء؟"، فهز أندري رأسه في نفي. فقال الطبيب: "في هذه الحالة، أعرف مكانًا ليس بعيدًا من هنا للعب الأوراق، فهل تود الانضمام إليَّ؟".

نظر أندري حوله في غرفة الجلوس للتأكد من أن زوجته قد خرجت، فلو رأته لأصرت بالتأكيد على بقائه ومساعدتها في رعاية بوبك. ولما تأكد من زوال الخطر، تبع الطبيب ليخرجا في هواء الليل.

بدت غرفة الجلوس باردة وخاوية، وقد قضت إيرينا الساعة الماضية في غرفتها تشهق من كثرة البكاء، ولما عادت إلى الطابق السفلي كان الضيوف جميعًا قد غادروا المكان، وكانت أولجا قد ذهبت إلى فراشها. ولم تكن الغرفة قد أُعيدت مرة أخرى لترتيبها المعتاد، فوقفت إيرينا تحدق في قاعة الحفل الموسيقي في أسى.

في تلك اللحظة أتاها صوت، قائلًا: "إيرينا؟"، كان ذلك سوليوني، الذي تابع قائلًا: "آسف لإزعاجكِ".

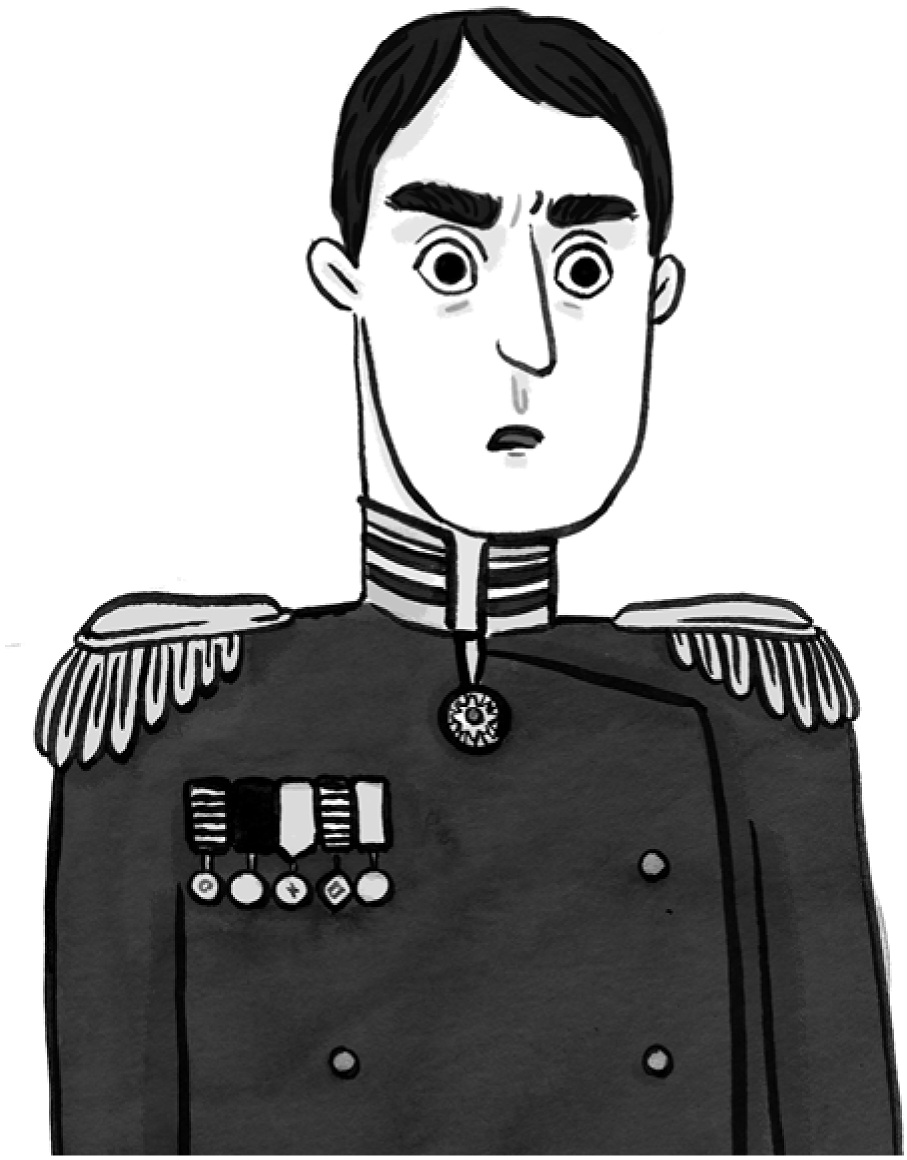
فاندهشت إيرينا لدى رؤيتها إياه هناك، وقالت: "ظننت الجميع قد غادروا".

فقال سوليوني: "انتظرتُ حتى غادر الجميع، فقد أردت أن أتحدث إليكِ على انفراد". ثم صحح سوليوني صوته، وساوى ربطة عنق زيه العسكري، وقال: "إيرينا، أرى أننا لا بد أن نتزوج".

ذُهلت إيرينا، فلم تكن تتخيل أن سوليوني معجب بها، ناهيك عن رغبته في الزواج منها.

فقالت: "لم ... لم أفهم قصدك".

فأومأ سوليوني وقال: "أعرف أن ذلك قد يبدو غريبًا، كوني لا أزوركِ أو أطلب منكِ الانضمام إلي في إحدى الرقصات، هذا كله ضياع للوقت في رأيي. فإذا كنت معجبًا بأحد فعليَّ أن أصارحه بذلك وحسب. أرجو أن تصدقيني حين أقول لكِ إنني أحبكِ بشدة، حتى أنني قد أقتل أي أحد يقف في طريق زواجنا".

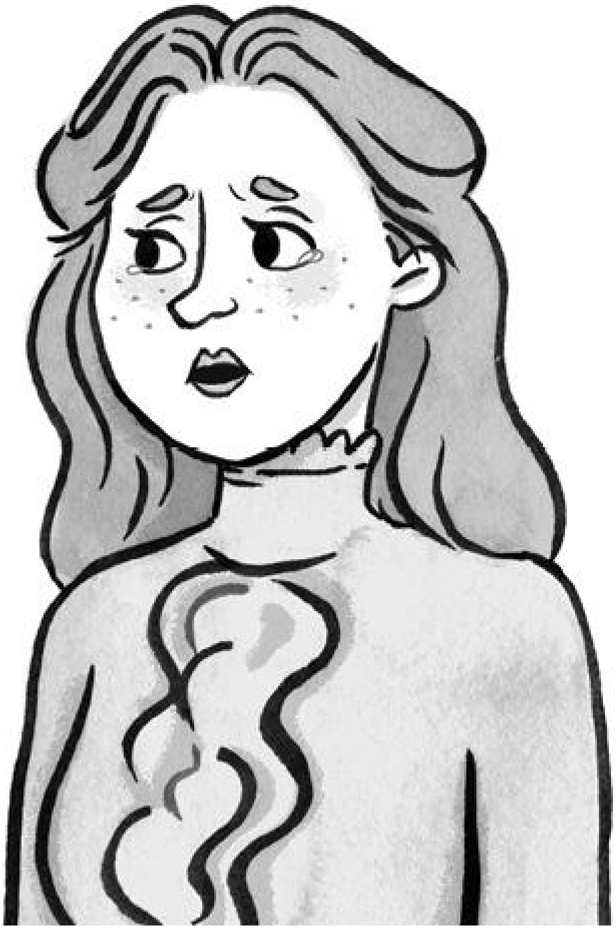


غطت إيرينـــا وجهها بكفيـــها، فقد كان عرض الزواج هـــو آخر ما تتوقع أن يحدث تلك الليلة، ناهيك عن كونه عرض زواج من سوليوني.

شعرت إيرينا بالدموع تملأ عينيها، فقالت: ‘‘أعجز ... أعجز عن التفكير الآن. أرجوك دعني، سوليوني، أرجوك’’، وقد أدركت في هذه اللحظة أنها لن تتقبله أبدًا زوجًا لها.

انحنى سوليوني أمام إيرينا في احترام، ولم يكن وجهه يعكس أية انفعالات، ثم غادر الغرفة وكأنه ينفذ أمرًا بالانصراف من قائده، لا أنه يغادر حب حياته.

كانت ناتاشا تقف بملابس النــوم عند الباب، فشـــــعرت بالإحراج عندما مر سوليوني بجانبها، وقالت: ‘‘يا إلهي! ظننت الجميع قد غادروا! يسرني أنكِ ما زلتِ مستيقظة يا إيرينا، أود أن نناقش أمرًا ما’’.



نظرت إيرينا إلى زوجة أخيها في كراهية، فقد أفسدت ناتاشا واحدة من الأمسيات النادرة من العام التي تجعل حياة ماشا في هذه البلدة الصغيرة

سعيدة.

فقالت ناتاشا: "أتساءل إن كان بإمكانكِ تبديل الغرفة مع بوبك الصغير، أو الأفضل حتى أن تنضمي إلى أولجا في غرفتها؟ أخشى كون بوبك يصاب دومًا بنزلات البرد، بينما غرفتكِ دافئة دومًا".

كانت إيرينا تحب ابن أخيها بقدر ما كانت تكره ناتاشا، فأومأت بالموافقة، في صمت، وغادرت الغرفة.

الجزء الثالث

الفصل الأول

تلاشت كل الأفكار التي تخص الحفل الموسيقي عندما نشب حريق هائل في البلدة بعدها ببضعة أسابيع؛ حيث انتشرت النيران بسرعة، ووصلت إلى موقع تمركز الجيش. وفي ليلة الحريق، فتحت أولجا، وإيرينا، وأندري منزل عائلة بروزوروف للضباط الذين خسروا ثكناتهم العسكرية جراء الحريق.

تحولت غرفة أولجا وإيرينا إلى مهجع مؤقت، وغفا البارون على كرسي بمسندين بجوار المدفأة، بينما راحت أولجا، وماشا، وإيرينا يطوين الأغطية مع أنفيسا لتوزيعها على البلدة. أما فيودور فارتمى بجوار مدخل الغرفة؛ حيث كان يساعد في إخلاء المدرسة خشية وصول النيران إليها، فغط في النوم منهكًا.



قالت إيرينا في حسرة: ‘‘يا لها من ليلة فظيعة!’’.

فقالت أولجا: ‘‘هل ما زلنا ليلًا أم طلع الصباح؟ إنني متعبة جدًّا حتى أنني لا أشعر بالوقت! هل هدأ فيرشينين يا ماشا؟’’.

أومأت ماشا بالإيجاب، فقد دمر الحريق منزل ألكساندر، وكانت عائلته حينئذٍ في إحدى غرف النوم المخصصة للضيوف.

تكلمت ناتاشا في غضب قائلة: "أحتاج إليكِ في المطبخ، أنفيسا"، فتحركت العجوز، التي كانت قد أنهكتها أحداث الساعة الماضية، لتخرج من الغرفة ببطء، وبمجرد أن فعلت قالت ناتاشا: "أظن أنه حان وقت التخلص من تلك السيدة".

كادت أولجا أن تُسْقِطَ الغطاء الذي كانت تحمله، وقالت: "مستحيل!".

فتنهدت ناتاشا قائلة: "لم تعد منها فائدة لنا، ولا يمكنني أن أترك الأشخاص عديمي الفائدة يزحمون المنزل".

كانت أولجا متعبة، وغاضبة بشدة، حتى أنها كادت تنفجر في البكاء؛ إذ لم تكن تملك القوة للجدال.

فقالت ناتاشا وكأنها تتحدث إلى بوبك لا إلى أخت زوجها: "لا بد أن تفهمي، أولجا، أنكِ في المدرسة طوال اليوم تعملين، وأنا الموجودة في المنزل، ويجب أن أتولى مسئوليته وأن أقرر كيف يجب أن يُدار".

شق الطبيب تشيبوتيكن طريقه إلى الغرفة بصعوبة، وقبل أن تتمكن أولجا من الرد، بكى قائلًا: "لقد ضاع كل شيء! ضاع!"، وارتمى على سرير أولجا. لقد كان واضحًا أن الطبيب كان منهكًا بعد تلك الليلة الطويلة، فلم يبدُ عليه أنه بخير.



فسألته إيرينـــــا في قلق قائلة: ''هل ضاع منزلك أيها الطبيب؟ يمكنك أن تمكـث هنا بكل سـرور''.

جلس الطبيب بشكل غير مستقر، وراح ينقر على ساعة صغيرة توضع دومًا بجوار سرير أولجا، فأيقظ الصوت البارون وفيودور من نومهما.

فقال الطبيب في حســـــرة: ''ساعة أمكِ!''، ثم تنهد وفرك عينيه قائلًا: ''لطالما ظنت أمكِ أنني طبيب ماهر. لقد كنت طبيبًا ماهرًا، أما الآن فلا حاجة لأحد بي. صرت عجوزًا بحق''.

نهض فيودور واقفًا؛ إذ رأى أنه حان الوقت لأن يذهب الطبيب إلى النوم، فقال له في رفق: ''تعالَ أيها الطبيب، ثمة غرفة بالمنزل يمكنك المكوث بها''.

ربت الطبيب كتف فيودور، وقال: ''إنك رجل طيب، لا أعرف لماذا تفضل زوجتك فيرشينين عليك!''.

ساد الصمت التام الغرفة للحظة، فرغم أن الأخوات لم يتكلمن عن الأمر أبدًا، كن يعرفن أن ماشا وألكساندر كانا يحبان بعضهما كثيرًا، كما كان فيودور يعرف ذلك في قرارة نفسه. ورغم ذلك ابتسم إلى الطبيب، وأخذ نفسًا عميقًا، وقال رافضًا التعليق: "أظن أن هذه الليلة المرهقة قد أرهقـــت ذهنك! دعنا نذهــب إلى النـــوم".



الفصل الثاني

مرت ليلـــــة الحريق ببطء، ومـــع وصول كل وافد جديد إلى منزل عائلة بروزوروف تصل قصة جديدة. ولم يحترق مبنى المدرسة، لكن تدمرت مكاتب المجلــس، ومُحِيت ثكنـــات الجيش، وتشتت الجنود وعائلاتهم في أرجاء البلدة.

رغم أنه لم يكن هناك شيء آخر يمكن للأخوات أن يفعلنه، فإنهن لم يستطعن النوم، وقد لمعت عينا ماشا عندما طرق ألكساندر الباب ودخل غرفة أولجا وإيرينا قائلًا: "تمنيت أن تكوني مستيقظة".

فقالت أولجا: "ادخل أيها الملازم، فغرفتنا مفتوحة للجميع كما ترى!"، وأشارت إلى الركن حيث كان البارون لا يزال نائمًا، بملابس ووجه ملطخين بسواد الدخان.

توجه ألكساندر نحو ماشا التي تمنت لو كان بإمكانها أن تمسك بيده وتريح رأسها على كتفه، وسألته قائلة: "هل استقرت عائلتك؟".

فأومأ ألكساندر بالإيجاب، وقال في حزن: "لا تفهم زوجتي ما يحدث، لكنها نائمة الآن، وقد نامت الفتاتان على جانبيها".

انتاب ماشا شعور مفاجئ بالذنب جعلها تنظر لأسفل، فعندما تكون مع ألكساندر كانت تحاول أن تنسى أن لديه عائلة، فقالت: "لا بد أنهمـــا يشعران بالأمان معها".

فرد ألكساندر قائلًا: "لا أظن ذلك، فأحيانًا ما تنساهما وتخرج من المنزل هائمة، حتى أنها قد نسيت ذات مرة أن تبدل لهما ملابسهما وظلت الفتاتان طوال اليوم بملابس النوم".



أشفقت ماشـــا على حـــال زوجة ألكساندر، فقــد كانت مريضة، وبالتالي ليس خطأها أنها كانت تتصرف بهذه الطريقة، فأمسكت بيد ألكساندر وتشبثت بها للحظة.

عاد فيودور في تلك الأثناء ليُحضر ماشا بعد أن أسكن الطبيب إحدى الغرف بالمنزل، وقـــال: "حـــان وقت العودة إلى المنزل، ماشا".

أشار ألكساندر إلى ماشا مودعًا إياها في صمت، وغادر الغرفة عائدًا إلى زوجته وطفلتيه.

فقال فيودور: "يا لكِ من شخص حنون، ماشا، فالملازم فيرشينين يواجه الكثير من الصعاب، ومن حسن حظه أنكِ صديقة له".

لم تستطع ماشا أن تتحمل سماع زوجها يتحدث عنها بهذه الطيبة، فقد كانت تعرف أنها تظلمه بحبها لشخص آخر، وكانت واثقة من علمه بأنه تحب الملازم فيرشينين، ورغم ذلك كان كل ما يفعله هو الثناء عليها.

"إنني محظوظ بحق، ألا ترين ذلك يا إيرينا؟ ويا أولجا؟"، قالها فيودور دافعًا نظارته إلى الوراء ليبعدها قليلًا عن طرف أنفه. فنظرت كل من أولجـــــا وإيرينا بعضهمـــا إلى بعـــض، لا يعرفان كيف يردان عليه، فقال فيودور: "لا يسعني التعبير عن مدى حبي لكِ، ماشا".



كانت كلمات فيودور تؤلم ماشا وكأنها رُميت بحجر، فغمرها الشعور بالضيــق، والتعاســة، وكذلك الذنب؛ فَتأججت بداخلها صدمة الليلة والفترة الماضيـــة، وصرخـــت قائلــة: "لكني مللت! إنني غاية في التعاسة!".



نظر فيودور إلى زوجته في صدمة، وعندما لم ينطق بشيء هرعــــت أولجا إلى جانبه وقالت في رفق: "لقد كانت ليلة طويلة أنهكت ماشا، لا تكترث كثيرًا لما تقول".

أومأ فيودور بالموافقة، وراح ينظر إلى زوجته التي كانت حينئذٍ تغطي وجهها بكفيها وتنتحب.

فاقترحت إيرينا قائلة: "أيمكن أن تبيت ماشا لدينا الليلة؟ يمكننا وضع سرير إضافي في غرفتنا، تمامًا مثلما كنا صغيراتٍ".

أومأ فيودور بالموافقة، وهم بالانسحاب من الغرفة قائلًا في هدوء: "نعم، ربما أنتِ محقة".

الفصل الثالث

راحت إيرينا تصعد في ضجر درجات السلم المؤدي إلى غرفتها المشتركة مع أولجا، حاملة الوسائد والأغطية اللازمة لسرير ماشا، وقد أحست بإرهاق شديد حتى أنها كادت تستلقي على السلم وتغط في النوم.

أتاها صوت البارون قائلًا: "أيمكنني مساعدتكِ؟ لقد خرجتُ لتوي لأرى إن كان بإمكاني تقديم مزيد من المساعدة في هذه البلدة".

فابتسمت إيرينـــا وناولتـــه الأغطية، وقالت: "شكرًا لك. أخبرتني أنفيسا بأنه قد تم إخماد الحريق تقريبًا".

أومأ البارون قائلًا:"جيد، رغم أنني لا أعرف كيف ستستطيع الكتيبة المكوث في البلدة بعد احتراق ثكناتنا، فلا يمكننا النوم في منزل الناس للأبد".

شعرت إيرينا بصدمة، فقد كان ضباط الكتيبة كلهم أقدم أصدقائهن، ولو رحلوا لصارت البلدة خاوية بالنسبة إليهن.

أنزل البارون الأغطية، وأمسك بيد إيرينا وقال: "أود الحديث معكِ على انفراد، إيرينا، ويبدو لي التوقيت الآن مناسبًا. أريدكِ أن تعرفي أنني أحبكِ، لقد شعرت بذلك لأول مرة في ذكرى يوم ميلادكِ العشرين، فقد كنتِ سعيدة جدًّا ومرتاحة البال آنذاك".

بلعت إيرينا ريقها، فلم يكن البارون يخفي أبدًا حقيقة حبه لها، لكنه الآن يتكلم بنبرة جادة، لذا كانت تعرف ماذا سيطلب منها.

فقال البارون: "سأستقيل من الجيش وأعود إلى عائلتي في موسكو، حيث أملك منزلًا كبيرًا، أعرف أنكِ ستكونين سعيدة فيه". اعتلت وجه إيرينا ابتسامة لدى سماعها كلمة "موسكو"، فتابع البارون: "إيرينا، أطلب منكِ أن تصبحي زوجة لي".

فقالت إيرينا بنبرة مهذبة: "أشكرك أيها البارون". فلم يكن ذلك أول عروض الزواج التي تتلقاها ، رغم أنه كان أول شخص تشعر بأنها قد تقبل الزواج منه. ولم تكن إيرينا تشعر بأنها تحب البارون، لكنها كانت معجبة به كثيرًا؛ إذ كان رجلًا طيبًا، كما عرض عليها إعادتها إلى موسكو، فآلمها رأسها من شدة الحيرة، وقالت: "إن الوقت

متأخر جدًّا، وأنا متعبة جدًّا لأعطيك ردي الآن، لكني سأفكر في الأمر، أعدك''، وابتسمت مشددة على يد البارون.

أجاب البارون إيرينـــا بابتسامة، وساعدها على وضع سرير ماشا في غرفتها، ثم غادر، لتصبح الأخوات في النهاية بمفردهن.

قالت أولجــــا: ''يا لها من ليلة''، وارتمت على سريرها بثقل وقد تملكها التعب والإنهاك.



بعد لحظة من الصمت قالت إيرينا: ''لقد عرض البارون عليَّ الزواج''، فاعتدلت أولجا مصدومة، وقفزت ماشا من فراشها.

فسألتها ماشا قائلة: ''وبمَ رددتِ عليه؟''.

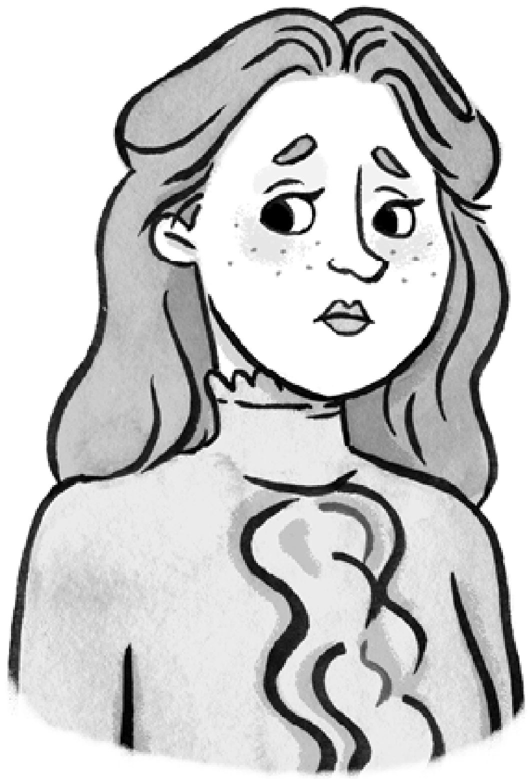
ردت إيرينا قائلة: ''أخبرته بأنني سأفكر في الأمر''.

جثمت الأخـــوات الثلاث على سرير أولجا، بينما جلست إيرينا في المنتصف، وأمسكت كل من أولجا وماشا بإحدى يديها.

قالت أولجا: ''أرى أن عليكِ الموافقة، فهو يحبكِ كثيرًا، وهو رجـــل طيب وينحدر من عائلة طيبة''.

فسألتها ماشا قائلة: ''لكن هل تحبينه؟ لا بد أن تكوني واثقة من حبكِ له قبل أن توافقي''.

هزت إيرينا رأسها هزة خفيفة لا تعرف كيف ترد على سؤال ماشا، فلم تكن تعرف ماذا يعني الحب.



فردت إيرينـــــا: "لطالما تخيلت أننا سنعود إلى موسكو يومًـــا ما، وأنني ســـــألتقي حبي الحقيقي هناك"، وضحكت على الفكرة.

فقالـــــت أولجـــا: "ليـــس الحب هو أهم ما في الزواج، بل يجب أن تكون لديكما الرغبات نفسها وأن تكونا قادرين على الاهتمام ببعضكما، ولو تقدم أحد للزواج مني وتزوجته، أوده أن يكون طيبًا مثل البارون، وسوف أتعلم كيف أحبه".

لكن ماشا لم توافقها الرأي.

قالت ماشا: "أوه أولجا! كيف يمكن أن تقولي هذا؟ لم تتزوجي أبدًا، لذلك لا تعرفين كم من الفظيع أن تتزوجي رجلًا لا تحبينه!".

نهضت أولجا وابتعدت عن أختيها، فرغم أن ماشا كانت محقة، فإن كلامها كان محبطًا لأنه قد ذكّر أولجا بأنها ليست متزوجة.

ثم قالت ماشا في حزن: ‘‘لكنني أعرف ذلك جيدًا’’، وأخذت نفسًا عميقًا وهي تنظر إلى أختيها. ولم تكن قد صرحت بذلك من قبل حين قالت: ‘‘أعرف ذلك، لأنني لا أحب فيودور، بل أحب ألكساندر’’.

الجزء الرابع

الفصل الأول

انتشرت أشعة الشمس بين الأشجار تاركة بقعاً متناثرة من ضوئها على المرج خارج منزل بروزوروف، وبدا الحريق الذي دمر البلدة قبل شهر كذكرى بعيدة، وقد بدأ السكان في بناء منازلهم مرة أخرى، لكن كما توقع البارون، كانت الكتيبة تستعد للرحيل عن البلدة، فكانت أولجا ستفتقد أصدقاءها كثيرًا، لا سيما أن إيرينا هي الأخرى كانت سترحل؛" إذ كانت ستتزوج من البارون وتنتقل إلى موسكو.

ظلت إيرينا تفكر في عرض زواج البارون لأيام، لتتفق في النهاية مع أولجا على أن البارون رجل طيب وأنه سيعتني بها، لذلك كانت واثقة من أن حبها له سيزداد بمرور الوقت، وأنه يمكن لهما أن يعيشا معًا في سعادة.



كان فيودور وماشا يحتسيان الشاي في الحديقة بصحبة إيرينا، وكان فيودور قد حضر ليلة أمس العشاء الذي أقيم على شرف وداع الكتيبة، فراح يحكي للأختين كل ما جرى هناك.

قال فيودور: "لقد تشاجر البارون وسوليوني كعادتهما طبعًا، ولعل البارون يريد منـــــه أن يصبحا صديقين، لكن سوليوني لا يود ذلك".

فقالت إيرينا في قلق: "ولكن لماذا؟ من غير المعقول أن يكون سوليوني لا يزال يحبني، فقد مر وقت طويل على هذا الأمر!".

صمت فيودور وأخذ رشفة من الشاي، وقـــال: "لم أسمع مـــــا دار بالضبط، لكـــــن أعتقد أنني قـــد سمعت اسمكِ، أختـــي العزيزة".



في تلك الأثناء بدت ماشا كأنها لا تسمع الحديث الدائر، لكنها بدلًا من ذلك ظلت تراقب البوابة المؤدية إلى خارج المنزل نحو البلدة.

فسألها فيودور قائلًا: "هل تنتظرين أحدًا عزيزتي؟"، فهزت رأسها في نفي.

خرجت أولجا من المنزل تتمشى في الحديقة، حيث كانت أنفيسا تمسك بذراعها قائلة: "أفسحوا المجال للمديرة!".

صفقت إيرينا، وماشا، وفيودور مع جلوس أولجا إلى طاولة الشاي.



وقالت ماشا: ''تهانينا، أولجا. لطالما كنا نعرف أنك ستتولين إدارة المدرسة''.

وقـــال فيودور مازحًا: ''صرت الآن أعرف ممن سأطلب زيادة الراتب!''.

رغم أن الأخوات الثلاث كن يبتسمن، فإن كل واحدة منهن كانت تشعر بغصة في قلبها، فقد كانت هذه الأيام الأخيرة التي سيقضينها في منزل عائلتهن؛ إذ كانت إيرينـــا ستتزوج من البارون اليوم التالي وترحل إلى موسكو، وكانت ترقية أولجا تعني أنه سيكون لها منزلها الخاص بالقرب من المدرسة، حتى أنها كانت بالفعل قد طلبت من أنفيسا الانتقال معها، خشية أن تتركها في المنزل فتطردها ناتاشا في غضون دقائق. وكانت ماشا وفيودور سيواصلان العيش في البلدة، لكن ماشا لن تزور منزلها القديم مرة أخرى، إذ لم يعد المنزل الذي كن يعشن فيه مع والديهن ملكًا لهن بعد الآن.

بعد مدة قصيرة من الحريق، صارح أندري أخواته بأن الديون التي تراكمت عليه بسبب إدمانه للألعاب الورقية كانت ضخمة، ما اضطره إلى رهن المنزل، ما يعني أن المنزل لم يعد ملكًا لأندري أو أخواته، بل صار ملكًا للبنك. وقد كان أندري يشعر بخزي كبير مما فعله لدرجة أنه كان يقضي معظم وقته حبيس مكتبه، تاركًا ناتاشا تفعل ما يحلو لها.

ورغم ذلك، انضم أندري إلى أخواته في المرج ذلك اليوم في صمت، احتفالًا بترقية أولجا وزواج إيرينا.

فسأله فيودور قائلًا: "أين ناتاشا؟"؛ إذ كان الوحيد الذي لاحظ غيابهـا عن الحفل.



فأجابه أنـــدري قائلًا: "بالداخل، تتفقد عينات من ورق الحائط، فهي تخطط لتجديد ديكور المنزل بالكامل، رغم أنني لا أعرف من أين ستأتي بالمال اللازم لذلك".

لم تتقبل أولجا زوجةَ أخيها أبدًا، فقد كانت الطريقة التي تعامل بها ناتاشا أنفيسا غير محترمة، كما كرهت طريقتها في تجديد ديكور غرفة والديها.

فقالت أولجا في مرارة: "ظننتها ستبدأ بغرفتنا؟".

فتنهد أندري، وقال: "أولجا، إيرينا، ماشا، أعرف أن ناتاشا لم تكن زوجة الأخ المناسبة في رأيكن، وأعرف أنها قد تكون فظة وعنيدة، لكن لا بد أن تدركن أنني

ورغم أخطائها كلها أحبها، وسأظل أحبها دومًا".

مدت ماشا يدها من فوق الطاولة وشدَّت على يد أندري، وابتسمت له وقد امتلأت عيناها بالدموع، فقد كانت تعرف كيف يكون الشعور بالحب غير المشروط، رغم كل شيء. فهكذا كانت تحب ألكساندر.

الفصل الثاني

بعد ساعة بدأت أنفيسا تلملم أغراض جلسة الشاي بمساعدة الأخوات، وقد قضين وقتًا رائعًا بعد الظهيرة، وكانت ماشا تحاول أن تتناسى أن الكتيبة سترحل ذلك اليوم، لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من تثبيت عينيها على البوابة على أمل أن يأتي ألكساندر لوداعها.

بمجرد أن حمل فيودور صينية من الفضة وتبع أنفيسا إلى داخل المنزل، ظهر ألكساندر أخيرًا.

ابتعدت إيرينا وأولجا قليلًا ليجلسا في ظل شجرة قيقب، كي يمنحا ألكساندر وماشا بعض الوقت بمفردهما لوداع بعضهما.

لم يكبُر حب ماشا وألكساندر إلا بعد الحريق، وكانا يريان بعضهما كل يوم، وأحيانًا ما كانا يتخيلان كيف كانت حياتهما ستبدو لو كانا تزوجا بعضهما بدلًا من شريكيهما الحاليين، والآن ها هو ألكساندر سيرحل، وربما لن تراه ماشا مرة أخرى.

قالت ماشا ــــ والدموع تجري على وجنتيها: "لا يمكنني أن أتحمل ذلك، ألكساندر، كيف يمكنني أن أمضي في حياتي وأنا أعرف أنني لن أراك مرة أخرى؟".

فمسَّد ألكساندر شعرها وقال: "عليكِ أن تفعلي، مثلما أفعل تمامًا. ليس لديَّ الكثير من الوقت، عليَّ أن أودعكِ".

راح ألكساندر وماشا يقبلان بعضهما، رغم أن بإمكان كل من في المنزل أن يراهما، لكن في تلك اللحظة لم تكن ماشا لتهتم ولو اكتشف العالم كله حبهما. وبمجرد أن أبعدها ألكساندر عنه برفق، هرعت أولجا ممسكة بأختها التي سقطت على ركبتيها في يأس. ولم تلحظ الأخوات أن فيودور كان قد انضم إليهن، مع رحيل ألكساندر، الذي لم ينظر وراءه.

فمد فيودور يده إلى زوجته وقال: "عزيزتي وحبيبتي ماشا، أعرف أنكِ كنتِ أسعد مع فيرشينين مما كنتِ معي، لكني لا ألومكِ، ولن أذكر ما حدث اليوم أبدًا. يمكننا أن نبدأ من جديد".

رفعت ماشا رأسها ناظرة إلى زوجها، وطرفت بعينيها لتبعد الدموع عنهما، فقد كان أي رجل في مكانه سيصرخ في غضب ويطلب من زوجته أن ترحل عن البلدة لو فعلت ذلك، لكن فيودور كان طيبًا متملكًا لأعصابه.

فأمسكت ماشا بيده وقالت وهي تشهق من البكاء:"نعم، نعم فيودور". لقد أدركت أنه رغم أن زوجها لم يكن حب حياتها، كانت هي حب حياته، وهذا كافٍ الآن.

مع نهوض ماشا ووقوفها على قدميها، سمعت الأخوات صوت ناتاشا وهي تخرج من المنزل، ويتبعها إلى الحديقة رجل يحمل ورق ملحوظات، ويدون أشياء بسرعة.

فقالت ناتاشا مشيرة إلى الأشجار: "ولتقطع صف أشجار القيقب هذا حتى يمكنني أن أستمتع بالمنظر، هل دوَّنت هذا كله؟".

أومأ الرجل بالإيجاب وغادر مسرعًا.

فسألتها إيرينا في أدب، قائلة: "لمَ تخططين؟".

فابتسمت ناتاشا في اعتداد بنفسها وقالت: "حسنًا، ما دامت أولجا ستنتقل إلى منزل المديرة، وأنتِ سترحلين عنا غدًا، فكرت في البدء في تنفيذ بعض التجديدات".

نظرت الأخوات إلى بعضهن في حزن، فقد كانت أمهن هي من زينت المنزل حين انتقلوا إليه، لذلك كان في رأيهن مثاليًا. وقد كانت ناتاشا تخطط لعمل تجديداتها منذ أشهر، ومع انتقال الأخوات فإن الوقت مثالي لتنفيذ تلك الخطط.

وأضافت قائلة لـ أولجا وإيرينا: "فكرت في نقل أندري إلى غرفتكما القديمة؛ إذ يكون نومي أفضل كثيرًا حينما لا يكون بجانبي، بعدها سأبدأ بغرفة الجلوس"، ثم نظرت ناتاشا لأعلى ولأسفل نحو أولجا التي كانت ترتدي بلوزة عملها البنية السادة ذات الجيوب العميقة التي تناسب وضع طباشير السبورة بداخلها، وقالت: "أوه، أولجا، ملابسكِ ...".



فنظـــرت أولجا إلى ملابسها في حيرة.

فتابعت ناتاشا قائلة: "لا بأس بها الآن، لكن في المرة القادمة التي نقيم فيها حفل شاي من الأفضل أن ترتدي شيئًا أفضل من ذلك. لكن حسنًا، أظنه لونًا يليق تمامًا بمديرة عزباء".



رمقت ناتاشا الأخوات بابتسامة كريهة ومشت في سعادة إلى داخل المنزل.

الفصل الثالث

أحست ماشا بأنها لا تريد شيئًا سوى العودة إلى المنزل الذي تعيش فيه مع فيودور، وقد فاجأها هذا الإحساس، لكنها كانت مفاجأة سارة، كما كانت غاضبة من وقاحة ناتاشا، فرفضت دخول منزلها القديم لتأتي بأغراضها، لذلك ذهب فيودور بدلًا منها.

وأثناء خروج فيودور، لمحت أولجا هيئة مألوفة عند البوابة، وكان ذلك هو الطبيب تشيبوتيكن.

قال الطبيب تشيبوتيكن لاهثًا وكأنه كان يركض: "يا عزيزاتي! يا عزيزاتي! لديَّ أخبار سيئة".

فقالت أولجا في ذعر: "ما الأمر؟".

وسألته إيرينا قائلة: "هل أنت بحاجة إلى القليل من الماء؟".

هدَّأ الطبيب نفسه قبل أن يحكي قصته، وبدأ قائلًا: "لقد تحدى سوليوني البارون أن يبارزه"، لتضع إيرينا يدها على قلبها. ثم تابع الطبيب: "لقــد كان غاضبًا بشــدة لأن البارون سيتزوج إيرينا!".



فسألته إيرينا بنبرة يملؤها الرعب: "ومتى تقام المبارزة؟".

فقال الطبيب: "أقيمت بالفعـــل. لقد قُتل البارون".

شعرت إيرينا برأسها يدور، ولم تصدق الطبيب في البداية، وظنت أنه ربما عاد لهذيانه مرة أخرى، أو ربما يكون مخطئًا وحسب؟ لكن بنظرة واحدة إلى وجه الطبيب أدركت أنه كان يقول الحقيقة.

فقالت إيرينا في أسى: "لكننا كنا سنتزوج!"، وارتمت بين ذراعي ماشا. ثم قالت: "هل هذا عقابي؟ لأنني لم أحبه بقدر ما كان يجب أن أفعل؟!".



حاولت ماشا الحفاظ على هدوئها، وقالت وهي تربت شعر أختها: "بل إنكِ قد أسعدته، لم يكن هذا خطأكِ".

بينما بدأت شمس الغروب تهبط خلف أشجار القيقب ، تلك الأشجار التي ستقطعها ناتاشا قريبًا، تشبثت الأخوات بعضهن ببعض، فقد أدركن أنه حان وقت الرحيل.

قالت إيرينا وهي تشهق من كثرة البكاء: "ما الذي سيحدث الآن؟".

فقالت ماشا: "نمضي في حياتنا. نحن قويات. نحن أخوات".

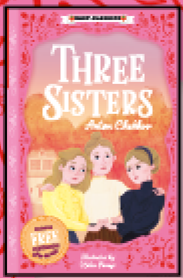
صدَّقت أولجـــا على كلامهـــا قائلة: "يمكنكِ العيش معي، إيرينا، ومساعدتي في التدريس بالمدرسة. فربما لا نعيش حياة سعيدة الآن، لكن يمكننا أن نعاون الأطفال الذين نعلمهم على أن يكونوا سعداءً".



أومأت إيرينا بالموافقة، فقد كانت قبل بضع ساعات ستتزوج وتعيش في موسكو مثلما حلمت دومًا، لكن ما دامت ماشا قد استطاعت العيش دون حبها الحقيقي، تستطيع إيرينا أن تتخطى ما حدث وأن تمضي في حياتها، هي الأخرى.

أمسكت الأخـــوات بعضهن بأيدي بعض ورحن يشاهدن غروب الشمس في حديقة منزل عائلتهن لآخر مرة.

الغلاف الخلفي



بعـــد أن توفي والداهـــن، أصبحت الأخـــوات **أولجا**، و**ماشـــا**، و**إيرينا** وحدهن يعتنين بمنـــزل عائلتهن الجميل.

تتمنى كل أخت منهن الاستمتاع بالحياة؛ تود أولجا وإيرينا العودة إلى موسكو، أما ماشا التعيسة فقد تزوجت من رجل لا تحبه. ثم يتزوج أخوهن **أندري** من **ناتاشا** كثيرة الطلبات، التي تدفع الأحداث إلى كثير من التغييرات – لكن ليس للأفضل.

تُري هل ستتمكن الأخوات الثلاث من التشبث بما هو عزيز عليهن، أم سيخسرن كل شيء؟



لشراء النسخة الإلكترونية
قارئ جرير
JARIR READER

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore

Arabic edition published by Jarir Bookstore

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت
www.jarir.com

Adapted by: Gemma Barder
Licensor Sweet Cherry Publishing United Kingdom [2022]

ISBN 628-1072-14-459-3
6 281072 144593
282208999